العناية بالمرأة والطفل من خلال كتاب "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" لعريب بن سعيد القرطبي

د. بلبشير عمر، خلافي زاهية،
قسم العلوم الانسانية،
جامعة معسكر.

الملخص:
إنّ موضوع العناية بالمرأة والطفل لم نجد له أساساً قاعدياً في الدراسات التاريخية الحديثة، بل إنّ أغلب الدراسات المرتبطة بهذا الموضوع والتي تتوفر عليها ساحة البحث حالياً هي مرتبطة بالطب الحديث، فالاهتمام بإبراز أهمية كتب التراث والعناية بها كان من قبل الأطباء أنفسهم، فقد أولوا هذا التراث عناية خاصة وتعاملوا معه بحذر شديد، فلم يغطوا ولم يوفوا كامل الجوانب دراسة وتفصيلاً؛ رغم أنّ الفضل يعود لهم أولاً في إبرازه وإخراجه من رفوف الخزائن؛ لهذا بقي ولا زال تراثاً بِكْراً لم يلتفت إليه المؤرخون إلاّ في الآونة المتأخرة باعتباره من المصادر اللاإرادية في الدراسات التاريخية.
ونحن في هذه الورقة البحثية نروم إلى إبراز بعض الجوانب من عناية الأطباء في العصر الوسيط بحفظ صحة المرأة والطفل، من خلال كتاب "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" لعريب بن سعيد القرطبي، رغم أنّها وثيقة وجدت للتطبيب لا للتأريخ.

الكلمات المفتاحية:
المرأة- الجنين- الطفل- الرعاية الصحية- التربية- الأندلس.

Abstract:
We did not find the basic historical studies for women and child care subject, but most studies associated with this subject is available in the research area that is related to modern medicine, so the interest in highlighting the importance of heritage books and taking care of it was by doctors themselves, for they gave this heritage a good care and treated it very carefully, they did not highlight all the aspects in terms of studies and giving details, although they get the credit for being the first to shed the light on

it, that is why it is still a new found heritage that historians paid attention to it only recently, as if it is one of the involuntary sources in historical studies.
And we in this paper want to highlight some aspects of the care of doctors in the Middle Age to save women's and children's health, from the book "khalk el djaninwatadbir el habalawa el mawloudin" written by Arib ben said el kotobi, although it's a document that was found for medication not history.

Keywords :
Women- The Fetus- The child- Health care- Of Education- Andalusia.

مقدمة:

شهدت الأندلس نهضة فكرية وثقافية خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ذلك أنّ الأمويين وطدّوا أركان دولتهم ومكنوا لها بشتى السبل، فمن الناحية الثقافية لم يتوانوا في تقريب العلماء وإكرامهم والرفع من شأنهم، فبرزت نخبة عالمة أثرت جميع الميادين الفكرية من بينها الطب، إذ عني الأطباء في الأندلس بعلوم الأوائل من اليونان وطوروا معارفهم بالممارسة والمقارنة والتجربة الحيّة، ولم يقتصر الأمر على الوجهاء في المجتمع فقط، بل شاركت أطياف أخرى في هذا الزخم الثقافي ومنهم الموالي، ونحن اليوم بصدد تقديم دراسة حول "عريب بن سعيد القرطبي" ذلك الطبيب المغمور الذي كان له الفضل في التصدي لطب الأطفال بالأندلس، فقد أمدنا بمعطيات ومعلومات طبية غاية في الأهمية اعتمد عليها من أتى بعده من المختصين في هذا المجال، فيا ترى من هو عريب بن سعيد؟ وما هي الأهمية التي ينطوي عليها كتابه؟ وكيف نظّر لصحة المرأة والطفل؟

1) التعريف بعريب بن سعيد القرطبي وكتابه "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين":

على الرغم من أنه عاش في بيئة علمية، وشغل مناصب إدارية، إلاّ أننا لم نعثر له على ترجمة وافية، تضيء لنا السبيل لمعرفة أطوار حياته، ونستشف من ورائها مختلف أحواله.

ينتسب عريب بن سعيد (أو سعد) إلى أسرة تدعى بني التركي، سكنوا قرطبة فكان لقبه القرطبي، ويكنى بأبي الحسن- كما عرّف نفسه بخطه في مقدمة كتابه الأنواء- (Arib, s. 1961: p4) وقيل بأنّ أصله نصراني وأسلم أبواه (بالنثيا، أ.**1955**: **214**/ PP45-48 : 1991 ,Castilla, J.).

ولا يعرف شيء عن ولادته، لكنه نشأ أديباً شاعراً عالماً بالأخبار، له حظ من النحو واللغة، طبيب بارع له عناية بمؤلفات الأطباء القدامى والمحدثين (المراكشي،ع.**2012**: **118**)، وبالفعل هذا ما نلمسه من خلال مؤلفه الذي بين أيدينا فهو مطلع تقريباً على جل مؤلفات أبقراط في طب الأطفال مثل: كتاب "خلق الجنين"، "حبل على حبل" وكتاب "الأسابيع" (عريب، س. **1956**: **12- 19- 40**)، ومن المؤلفات المعاصرة له كتاب "الخصال" لابن زرب (ت**381**ه/**991**م) (عريب، س. **1956**: **34- 84**).

كان "عريب بن سعيد" وثيق الصلة بحكام الخلافة الأموية بالأندلس، فشغل مناصب إدارية هامة وحساسة،فقد عيّنه الخليفة عبد الرحمن الناصر(**300- 350**ه/**912- 929**م) والياً على كورة أشبونة سنة (**331**ه/**943**م)، وأصبح كاتباً لخليفتة الحكم المستنصر (**350- 366**ه/**961- 977**م)؛ وصارت له منزلة وحظوة عند الحاجب المنصور بن أبي عامر (ت**392**ه/**1002**م) الذي ولاّه منصب خازن السلاح (المراكشي، ع. **2012**: **119**).

لم يتمرس "عريب بن سعيد" في المناصب السياسية، الأمر الذي جعل حياته رتيبة بعيدة عن التقلبات والصراعات والمؤامرات المحاكة خلف الستار من أجل السلطة، لهذا لم يُذع له صيت في أرجاء الأندلس، ولم يحدث ضجة علمية وفكرية في بلاده، بل كان مشاركاً بسيطاً في الحراك الثقافي الذي عايش تفاصيله بمزاحمة مجالس العلماء بين القادة والخلفاء.

يبدو أنه كان مطلعاً على الكثير من المؤلفات في خزانة الخلافة باعتباره شغل منصب الكتابة، الأمر الذي خوّل له الاطلاع على العديد من المعارف، فهو لم يشق في جمع المادة والارتحال لطلب العلم، بقدر شقائه وعنائه في المطالعة والنسخ؛ وقد شارك في الطفرة الفكرية والثقافية التي عرفتها الأندلس مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بأن اختصر كتاب "تاريخ الرسل والملوك" للطبري (ت**310**ه/**923**م) في مؤلف سماه "صلة تاريخ الطبري" بعد أن أضاف إليه أخبار إفريقية والأندلس - وهو كتاب منشور- وقد عوّل عليه ابن حيان(ت**429**ه/**1038**م) في مقتبسه، والمقري (ت**1041**ه/**1631**م) في نفحه؛ وله كتب أخرى في الفلاحة والطب وهي على التوالي: كتاب "الأنواء" أو ما يعرف بـ"تقويم قرطبة" وقد نشره المستشرق

رَينْهَارْت دُوزِي (Reinhart *Dozy*)، وكتاب "عيون الأدوية" وكتابه هذا الذي بين أيدينا "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين". وفيما يخص تاريخ وفاته فقد قيل بأنّه كان سنة **369**ه/**949**م (الزركلي، خ، **2002** :277)

أما كتابه "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" فقد جَدّ من خلاله إلى طلب الرضا والزلفى من الخليفة الحكم المستنصر باللّه، وهذا ما نفهمه من عبارة أوردها في المقدمة وهي: "إنّ أحق ما صرفت الهمم إليه واستعملت الأفكار فيه بعد حقوق اللّه عزّ وجل واستيفاء حدود شكره طلب الزلفى إلى الإمام الأهدى الحكم المستنصر باللّه أمير المؤمنين أطال اللّه بقاءه..." (عريب، س. **1956**: **5**)، وقد عرف عن هذا الخليفة أنّه كان محباً للعلم وأهله ومقرباً لهم، وعلى حد تعبير عريب فإنّ الأوفر حظاً والأعز مكاناً إلى قلبه من كان مؤلفاً للكتب جامعاً لمنثور الحكم مجدداً لآثار الأوائل (عريب، س. **1956**، **5**/ابن سعيد المغربي، ع. **1995**: ج **1**: **186**).

لهذا سعى عريب إلى تأليف هذا الكتاب الذي يجد فيه الخاصة والعامة على حد سواء ضالتهم في معرفة أوقات الحمل ومدته، وكيفية تخلق الجنين وطرق العناية بالطفل صحياً ونفسياً حيث قال: "وذكرت ما يخص الملوك نفعه ويغبط عامة النّاس جمعه" (عريب، س. **1956**: **6**). وقسّمه إلى خمسة عشر باباً منها ثلاثة (**3**) أبواب في الزرع ووصف الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة، بابين (**2**) في كيفية تخلق الجنين، بابين (**2**) في مدة الحمل و تدبير المرأة الحامل، بابين (**2**) عن مرحلة الوضع والرضاع، وستة (**6**) أبواب تحدث فيها عن تدبير الصبيان والعناية بهم حتى مرحلة البلوغ.

من خلال هذا التقسيم نفهم بأنّ المؤلف كان مهتماً بحفظ صحة الصبيان والأطفال وتدبيرهم، حيث أولاهم عناية خاصة بأن أفرد لهم ثمانية (**8**) أبواب كاملة من كتابه هذا.

ويظهر جلياً تأثير المدرسة اليونانية عامة والمدرسة الأبقراطية خاصة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، سواء بالنسبة لهذا المؤلف الذي بين أيدينا أو حتى بالنسبة لمعاصره ابن الجزار (ت**369**ه/**949**م) في كتابه "سياسة الصبيان وتدبيرهم" الذي لم يخرج عن هذه المدرسة هو الآخر، نظراً لاعتماده على كتب جالينوس تلميذ أبقراط وخليفته- ولو أنّ الفترة

الزمنية بينهما كانت طويلة، لكن ما يؤكد ذلك هو اعتكاف جالينوس على تفسير مؤلفات أبقراط- .

2) **العوامل المساعدة على الحبل:**يشير "عريب بن سعيد"إلى العديد منالعوامل المساعدة على الحبل لعل أبرزها وأشهرها هي:

- الصحة الجسمية والنفسية للمرأة.
- قوة مني الرجل وخلوه من العلل.
- رشاقة المرأة: فالمرأة البدينة لا تحبل لأنها قد امتلأت بلغماً.
- اتساع فوهة الرحم فمن كان رحمها صغيراً أو ضيقاً لا تستطيع الحبل. (عريب، س. **1956**: **18**- **19**).

3) **امتحان المرأة الولود من العقيم:**

اهتم الأطباء بصحة المرأة باعتبارها حرثاً يأتيه الرجل متى شاء بغية طلب الولد، لهذا نجد بأنّ الأطباء عمدوا إلى امتحان المرأة الولود من العاقر وفق طرق مختلفة ومتعددة منها إجلاس المرأة في كرسي مثقوب الوسط (وهو عادة كرسي الولادة) ويبّخر تحتها بأعشاب طبية متمثلة في: القسط والسندروس أو كندر أو لبنى شرط أن تكون المرأة صائمة، فإذا وجدت ريح البخور خارجاً من منخارها فهذا علامة أنّها امرأة ولود؛ وأما إن كان العكس من ذلك فالمرأة عاقر (عريب، س. **1956**: **19**/الرازي، أ. **2000**: **1446**).

وهناك تجربة أخرى مارسها أبقراط وهي أن تعالج المرأة بفرزجة فإذا أصابها وجع في مفاصلها وصرير في أسنانها وسدد وفواق فهي امرأة يرجى منها الحمل (عريب، س. **1956**: **19**). كما كان يختبر بول الرجل والمرأة إذا لم تعرف أسباب العقم حيث يوضع القليل من بول الزوجين في "أصول خس" متفرقين عند غروب الشمس، فإذا جفّ أحدهما فالعلة في الذي جف أصله رجلاً كان أم امرأة؛ ومن الطرق التي كان يستدل بها أيضاً على المرأة الولود هو اعتدال دم الحيض وخروجه في أوقاته(عريب، س. **1956**: **19**)

وأما العقر عند المرأة إن "كان أصلياً فلا علاج له" (الأنطاكي، د. **2007**: **271**)، ومن مسبباته كثرة رطوبة الرحم الذي يؤدي إلى سيلان الماء، أو حرارته المؤدية إلى جفافه، أو برودته التي ينتج عنها تجمده، أو يبسه فيغلق، أو طول الآلة أو قصرها فيفوت أو لا يبلغ موضع الانعقاد أو عدم اتفاق الماءين

(ابن سينا، ع**1999**: **762**/ الأنطاكي، د.**2007**: **271**) كلها أسباب تحول دون الإنجاب.

4) الأدوية المساعدة على الحبل:

تعددت طرق العلاج لمساعدة المرأة على الإنجاب كل حسب حالتها أو كل حسب الدواء الناجع لها، ومن هنا نستشف بأنّ عريب بن سعيد تطرق إلى مسألة تأخر الإنجاب عند الزوجين وإن بطريقة غير مباشرة، وذلك بوصف أدوية مقوية للباه وشهوة الجماع، ومنهااحترام المقادير وأوقات العلاج حتى يكون ناجعاًويَفي بالغرض وهي مقسمة إلى ثلاثة أصناف:

أ- التحميلات: عرف الأطباء القدامى وأطباء العصر الوسيط هذا النوع من العلاج الذي يساعد المرأة على الحبل، وهذه الأدوية تستعملها المرأة من القُبُل كي تساعدها على التخلص من كل الأضرار التي حالت دون حبلها وصفتها أن تأخذ "ميعة رطبة وجندبادستروجواشير وحب البلسان وحب البان وقسط وسنبل ومقل نخل الصموغ بسذاب"، ويدق الجميع ثم يعجن بشراب ويصنع منها مثل حبات البلوط وتحتمله المرأة من قبلها عدة ليالي وقبل الجماع بأربع ساعات فهذا من المساعدات على الحبل (عريب، س. **1956**: **23**).

وهناك دواء آخر ناجع على حسب عريب ويبدو أنه مجرب أكثر من مرة وهو أن تأخذ المرأة "إِنْفَحَة أرنب ومعزة من كل واحدة جزء ويحمل في صوفة ثلاثة أيام ثم تسقى بعد ذلك من نشارة العاج درهمين بماء وعسل أياماً متوالية" (عريب، س. **1956**: **23**)، فهذا من شأنه أن يجعلها تحبل.

ب- التبخيرة: تؤخذ نشارة قرون الماعز وتعجن بدهن الناردين وتبخر بها ثلاثة أيام شرط أن تكون المرأة طاهرة، فإذا انقضت المدة جامعت زوجها وهي دفيئة من البخور (عريب، س. **1956**: **23**).

ج- الأشربة: نهل الأندلسيون من تراث الهند الطبي وجربوا منه بعض الأدوية، منها هذا العلاج الخاص بتأخر الإنجاب والمتمثل في شراب كان النسوة في الهند يستعملنّه، وهو أن تأخذ المرأة شحم المعز وشحم السمك وشحم الجاموس من كل واحد مثقال، وتدق الجميع وتغليه بعد ذلك في لبن حليب ثمّ تشرب منه سبع ليالٍ(الأنطاكي، د.**2007**: **271**).

نلاحظ أنّ عريب بن سعيد وغيره من الأطباء قد حددوا أنواع الأعشاب أو المواد المستعملة في العلاج حيوانية كانت أو نباتية كما حددوا مقاديرها وأوقات استعمالها وعدد الأيام التي تستعمل فيها وأوقات انتهائها، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على الخبرة المتولدة عن التجربة المتكررة.

وبعد أن تتوفق المرأة في العلاج أو تحبل بصفة طبيعية بعيداً عن الأدوية، تظهر على جسدها علامات توحي بحملها.

5) الأمارات الدالة على الحمل:

قال الله تعالى:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قَلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ الْنِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُم اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْتَّوَّابينَ وَيُحِبُّ الْمُتَّطَهِّرين" (سورة البقرة، الآية: **220**)، وكأنّ حكمة الخالق عزّ وجل في أن يكون الرحم نقيّاً حتى يكون الولد سويّاً، فإذا كانت المرأة طاهرة من دم الحيض فإنّ الرحم تنضم على مني الرجل إذا نزل به وتتقبله (ابن ماسويه، ي. **2001**: **64**)، أي أنّ الجنين يتكون من امتزاج مني الذكر بمني الأنثى بناء على قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنْثَى" (الحجرات، الآية: **13**)، وبامتزاج المنيين يحدث العلوق لقوله تعالى:" خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَلَق" (سورة العلق، الآية: **2**). وللحمل أمارات أو علامات حددها الأطباء في غوار العينين وعمقهما وتغير بياض العين إلى الكمودة، وسكون أوجاع المرأة في رأسها أو وركها، ونفورها من الجماع وكرهها للمباضعة نتيجة جفاف قُبُلها، وهناك علامات أخرى كارتفاع ثدياها وظهور تغبّر في وجهها (عريب، س. **1956**: **28**)،وجفاف عنق الرحم وقلة الشهية إلى الأكل، والغثيان والميل إلى أكل الحوامض (الأنطاكي، د. **2007**: **151**)؛ ومن علاماته أيضاً اسوداد حلقة ثدييها التي تصاحبها انقطاع الدورة الشهرية (الرازي، أ. **2000**: **1443**).

وإذا تمّ العلوق وأرادت المرأة أن تتأكد من حملها فما عليها سوى أن تشرب عسلاً ممزوجاً بماء (ابن سينا، ح. **1999**: **767**) عند النوم بعد تخليها عن العشاء، فإذا أحست بمغص حول سرتها فهي حامل، والعلّة في ذلك أنّ الرحم إذا انضم على النطفة، فإنّ العسل الممزوج بالماء يؤدي إلى الانتفاخ بسبب ضيق مجاري الرياح مما يسبب المغص (عريب، س. **1956**: **28**)؛وهناك طريقة أخرى للتأكد من ذلك وهو أن تتحمل المرأة قطعة ثوم من

قُبُلها وتنام فإذا وجدت من الغد رائحة الثوم في أنفها فهي حامل، وإن لم تجد ذلك فلا شيء عندها (عريب، س. **1956**: **29**).إضافة إلى أنّ بول الحامل يميل إلى الزرقة وكأنّ به قطناً منفوشاً، أو به شيءٌ كالضباب (ابن سينا، ح.**1999** :**767**). في حين أشار السقطي (من أهل القرن **6**هـ)إلى أنّه كان يوضع تحت المرأة بخور أو عنبر فإن وجدت رائحته في فمها فهي حامل (السقطي، م. د ،ت: **52**).

وإذا جاوزت النطفة الأربعين يوماً سلمت الحامل من الإسقاط؛ وتكون هذه الفترة بالنسبة لها فترة صعبة، مصحوبةبغثيانووهن وقيء وشهوة رديئة كأن تشتهي الحامل الطين أو الفحم، وقد رأى الأطباء في هذه الشهوة أنّها مفسدة للجنين، لهذا يجب صرف المرأة عنها بالأشربة الممزوجة بالأفاويه وأكل الخضروات المصلحة للكيموسات الرديئة (عريب، س. **1956**: **40**-**41**/ الرازي، أ. **2000**: **1453**/ المجوسي، م.**1877:51**)،ويحذر عليها شدّة الفزع والأصوات القوية، وشم الروائح الحادة إلى غاية إتمامها الشهر الرابع (الخطابي، م. **1984**: **149**).

6) طرق الاستدلال على الجنين:

قال عزّ وجل: "اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغيضُ الأرحام وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ" (سورة الرعد، الآية: **9**)، لكن الأطباء المسلمين اجتهدوا في التعرف على جنس الجنين، فكان للذكر علامات وللأنثى علامات تظهر أعراضها على جسم المرأة، وهذه العلامات عديدة جداً، تشابهت فيها آراء الأطباء القدامى(اليونانيين) وآراء الأطباء المسلمين؛ في أنّ "الذكور في الجانب الأيمن والإناث في الجانب الأيسر" (الرازي، أ. **2000**: **1443**).فصنفناها في الجدول التالي الذي استخرجنا معطياته من كتاب "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" وكتاب "القانون في الطب"وكتاب "الحاوي في الطب" فجاء كالتالي:

الذكر	الأنثى
إذا غلبت الحرارة على مني الرجل والمرأة	إذا كان المني رقيقاً وغلبت عليه البرودة
حسن وجه الحامل وصفائه وانفتاح الشهية	البشرة الداكنة المليئة بالكلف
خفة حركة الحامل ونشاطها وسكون	بطؤ الحركة

أعراض المرض	
نزول المني من يمين الرجل إلى يمين المرأة	نزول المني من يسار الرجل إلى يمين الرحم يولد أنثى "قوية مذكرة"
نزول المني من يمين الرجل إلى يسار المرأة يولد ذكراً "ليناً مؤنثاً" (مخنثاً)	تقرح الجانب الأيسر وثقله
تقرح الجانب الأيمن وثقله وكبر الثدي الأيمن واحمراره	تقديم الرجل اليسرى عند المشي بأول خطوة
تقديم الحامل للرجل اليمنى عندما تهم بالمشي والاعتماد على اليد اليمنى في النهوض وخفة حركة العين اليمنى	هبوب ريح الجنوب ترخي البدن وتولد الثقل
هبوب ريح الشمال تصلب البدن وتعدل المزاج	كثرة قروح الرجلين وتورهما
الراحة النفسية قبل الجماع تولد الذكر	ثقل الجهة اليسرى من الأنف
سن الشباب يساعد على تولد الذكور	
احمرار عروق الرجلين	
خروج الدم من الجهة اليمنى من الأنف	

جدول يوضح طرق الاستدلال على جنس الجنين

وهناك طريقة أخرى كانت مستعملة في الأندلس تعرض لها السقطي كان يستدل بها على الكشف عن حمل المرأة بذكر أو أنثى حيث قال: "يقدّر بخيط من وسط سرة المرأة إلى وسط الفقارة المحاذية لها من ظهرها ويعلّم المكان بمداد ويدار القياس إلى الجانب الثاني من الموضع إلى الموضع فإن نقص الخيط من الجانب الأيمن عن العلامة فهي حامل بذكر، وإن طال فهي حامل بأنثى" (السقطي، م د، ت: **52 - 53**).

وكان الذكر محبباً داخل المحيط الأسري ومرغوباً فيه بشدة أكثر من البنت، وهذا ليس بالأمر الغريب باعتبار أنّ القرآن الكريم أورد آية بليغة في ذلك حيث قال اللّه تعالى على لسان والدة السيدة مريم عليها السلام: "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى" (سورة آل عمران، الآية: **36**)،لهذا عمد الأطباء إلى ابتكار وصفات مقوية على الباه وتساعد في توليد الذكور (عريب، س. **1956**: **26**)، كما وجدت فئة أخرى من الناس من فضلت التوائم على الولد الواحد فكانت توصف لهم بعض الأدوية والعلاجات المساعدة على ذلك (عريب، س. **1956**: **26- 27**).

7) تخلق الجنين:

تطرق "عريب بن سعيد القرطبي" إلى مراحل تخلق الجنين وفق استدلالات اليونانيين القدامى، الذين كانوا يختبرون طريقة تخلق الجنين بإخضاع عشرين حبة بيض (**20**) أو أكثر للتجربة، وذلك بوضعها تحت دجاجتين وبعد مرور يومين يبدأ الأطباء في كسر حبات البيض بمعدل بيضة كل يوم، وما استنتجوه من تفرخ البيض طبقوه على تخلق الجنين، وهذه المراحل

حالة الجنين	رغوة	شبه الدم (علقة)	مضغة (لحمة صغيرة)	تميز الذكر	تميز الأنثى	حركة الذكر	حركة الأنثى
المدة/يوم	**6**	**14**	**26**	**30**	**40**	**90**	**120**

ملخّصة في الجدول الآتي:

مراحل تخلق الجنين (نقلا عن: كعدان، ع. د ،ت: **31**)

وقد ناقش الأطباء القدامى مسألة أول ما يتكون في الجنين فأرسطو طاليس ذهب إلى أنّ القلب هو أول شيء يتكون لأنّه "موضع الحياة ومستقر الحرارة الغريزية"، ثمّ الدماغ الذي هو انبعاث الحس والحركة؛ أما أبقراط فقال بأنّ الدماغ هو أول ما يتخلق من الجنين لأنّه الباعث على الحركة ثمّ تليه العينين وفق تخلق الفراخ، ثمّ تليهما سائر الأعضاء (عريب، س.**1956**: **30**/ابن حجر العسقلاني، أ. **2001**: ج**11**، ص**490**). وقال آخرون بأنّ أول ما يخلق في الجنين السرة لحاجته إلى الطعام (ابن حجر العسقلاني، أ. **2001**: ج**11**، ص **491**)ولم يناقش عريب هذه الآراء غير أنّ الأطباء المسلمين تمسكوا بهذه الملاحظات وعملوا بها وأوردوها في مصنفاتهم حتى تشابهت آراؤهم، رغم أنّ الآية القرآنية صريحة في هذا الباب حيث قال اللّه تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِين" (المؤمنون، الآية: **12**- **14**)، ويقول جمهور المفسرين أنّ اللّه عز وجل "قد رتب الأطوار في الآية بالفاء لأنّ المراد أنّه لا يتخلل بين الطورين طور آخر" (ابن حجر العسقلاني، أ. **2001**: ج**11**، ص **492**/ ابن كثير، إ. **1999**: **465**-

467/كيث،م.**2013**: **71**، **78**، **84**)، أي أنّها أطوار متتابعة لا فاصل بينها، وبالفعل هذا ما توصل إليه علم الأجنة الحديث.

وأدلى المنجمون بدلوهم هم أيضاً فيما يخص هذه المسألة، وقد حصرناها في الجدول التالي:

الكوكب	زحل	المشتري	المريخ	الشمس	الزهرة	عطارد	القمر	زحل	المشتري
الشهر	**1**	**2**	**3**	**4**	**5**	**6**	**7**	**8**	**9**
المكون	نطفة جامدة	بضعة لحم	مضغة	بدأ الحركة واستبان الخلق	الدماغ والعظام والجلد	اللسان والسمع	تمام الخلق وإمكانية	سكون الأمراض	اكتمال النمو

يقدر للجنين البقاء في بطن أمه تسعة أشهر قمرية ومدة الشهور ما بين رؤيتي الهلال التام والناقص وذلك تسعة وعشرون يوماً ونصف(**29** و½) فتصبح أيام الحمل مائتين وخمسة وستين يوماً ونصف(**265** و½)؛وقد يولد الجنين لسبعة أشهر فوفقاً لعلماء التنجيم فإنّ الجنين يكتمل خلقه وقوته وحركته في مائة واثنين وثمانين يوماً وخمسة أثمان اليوم (**182** و⅝) أي أنّه يكمل نصف سنة شمسية فيكون تقلبه في الرحم تقلباً طبيعياً (عريب، س. **1956**: **32**، **36**).

وإذا ما أجرينا عملية حسابية بسيطة يتبيّن لنا أهمية الحقائق التي توصل إليها الأطباء القدامى وتمسّك بها العلماء المسلمين وأثبتها الطب الحديث، فالحمل الكامل هو ما استوفى فيه الجنين ما بين مائتين وخمسة وستين يوماً ونصف اليوم (**265** و½) ومائتين وثمانين يوماً (**280**) أي: **265.5** = **9.48** أشهر، معنى هذا أنّ الجنين قد استوفى مدة كماله الطبيعي ويولد خصب البدن سميناً (عريب، س. **1956**: **36**). ثمّ إنّ **280** = **10** أشهر تقريباً وهو أقصى أمد الحمل (هذا لا يعني - حسب المختصين- أنّ الطفل قد أتّم العشرة (**10**) أشهر بل إنّه استوفى التسعة (**9**) أشهر كاملة لأنّ بدايات الحمل قد اعترضتها بعض المشاكل التي أخرت النمو الطبيعي للجنين).

هذا بالنسبة للأطفال المولودين طبيعياً؛ أما المولودين لسبعة أشهر (7) رغم أنّهم يولدون قضافاً مهازيل، إلاّ أنّهم يعيشون شأنهم في ذلك شأن المولودين لتسعة أشهر، شرط أنّه إذا ولدوا قبل أن يتموا في الرحم مدة مائة يوم وأربعة وثمانين يوماً (**184**) لم يعش الصبي ويكون سقطاً، أما إذا أتمّ ذلك وولد بعد مائتي يوم وأربعة أيام عاش (**204**)؛ معنى هذا أنّ: **184** = **6.57** أشهر؛ و **204** = **7.2** شهراً.

في العملية الحسابية الأولى تبيّن لنا أنّ مدة الحمل بلغت ستة أشهر وبضعة أيام تقريباً وهي مدة غير كافية لأن يتم فيها تخلق الجنين بكامل أعضائه؛ أما في العملية الحسابية الثانية نجد بأنّ الجنين قد بلغ تكوينه النهاية لهذا فهو مرشح للعيش أكثر من الذي بقي في بطن أمه مائة وأربعة وثمانين يوماً(**184**).

أما المولودين لثمانية أشهر فقد أجمع الأطباء القدامى والمحدثين على أنّهم لا يعيشون أبداً، لأنّ أيام خلقهم زادت عن الحد الأدنى للمولودين في سبعة أشهر ببضعة أيام، أو فاقت الحد الأقصى لنفس المولودين باثنين وأربعين يوماً (**42**)، ونقصت عن المولودين لتسعة أشهر بتسعة عشر يوماً ونصف تقريباً (**19**و½)؛ لهذا فإنّهم لا يعيشون نظراً لما قد يصيبهم من أمراض وهم أجنّة في بطون أمهاتهم، باعتبار أنّها المرحلة التي تخالج فيها الأمراض جسم الجنين.

معنى هذا الكلام أنّ الجنين المولود ولادة طبيعية يجب أن يبقى في بطن أمه **265** يوماً ونصف، والمولود لسبعة أشهر يبقى ما بين **184** يوم و **204** أيام.

ويرى أهل التنجيم أنّ كل جنين يبقى في بطن أمه مائتي يوم ويومين ونصف (**202** و½) لا يعيش، أما إذا بلغ مائتين وسبعة وخمسين يوماً (**257**) سمي بقاؤه ذلك بـ"المكث الأوسط" (عريب، س. **1956**: **39**)، وإذا أتّم مائتين وثمانية وثمانين يوماً (**288**) سمي بقاؤه بـ "المكث الأكبر"وهو حد لا يتجاوزه الجنين في بطن أمه أي أنه يولد كاملاً معافاً من الأمراض والأسقام (عريب، س. **1956**: **39**/ ابن ماسويه، ي. **2001**: **64**).

وتبقى هذه العمليات الحسابية تقريبية فقط وليست نهائية باعتبار تغير عدد أيام الشهور، وتضارب آراء الأطباء والمنجمين فيما يخص المدة الزمنية التي يحتاجها الجنين المولود لسبعة أشهر في بطن أمه.

ذكر المنجمون أنّ "خلق الجنين في الرحم وحركاته وولادته وتغذيته بعد ولادته إنما يكون كل واحد منها في أربعين يوماً" (عريب، س. **1956**: **39**)؛ وهي مدة توافق قول الرسول صلى الله عليه وسلّم: *"إِنّ أحَدَكُم يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعَةٍ: بِرِزْقِهِ وأَجَلِهِ، وشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ..."*(البخاري، م. **1993**، ج**6**: **6221**).

وتطرق عريب بن سعيد إلى ضرورة المحافظة على صحة الحامل وأن تأكل الأطعمة المناسبة وتتناول الأدوية والمقويات حتى تستطيع أن تنهي مرحلة الحمل دون متاعب (عريب، س. **1956**: **40**)؛ وبحلول الشهر السابع يجب عليها أن تكثر من دخول الحمام وأكل الأطعمة المليّنة لتسهيل المخاض والولادة (عريب، س. **1956**: **41**). *وقد وصف عدة أدوية للمرأة الحامل حتى تحافظ بها على نشاطها وقوتها أثناء فترة الحمل وبالتالي تحافظ على سلامة جنينها (عريب، س. **1956**: **42**- **43**).*

8) مرحلة الوضع:

يظهر أن الأطباء مثلما تفطنّوا إلى أمارات الحمل اهتدوا كذلك إلى دلائل الوضع وميقاته، كأن تجد المرأة ثقلاً في ظهرها وأسفل بطنها وتنتصب رحمها ويلين فمها وينتفخ ويصبح شبه نديٍ؛ ويكثر بول الحامل وربما يخرج معه القليل من الدم لزوال المشيمة (عريب، س. **1956**: **45**) وحدوث الطَلْقِ المصحوب بوجع شديد لاسيما إذا كانت الولادة الأولى للمرأة.

وإذا أحست المرأة بالمخاض يجب أن تتمشى قليلاً، وتجلس بين الفينة والأخرى إذا أحست بتعب وشدة الوجع، ولا بأس أن تستلقي أو تصعد الدرج إن أمكنها ذلك، فهذا من شأنه أن يسهّل عليها الولادة (عريب، س. **1956**: **46**/الرازي، أ. **2000**: **1451**)؛ وفي هذه المرحلة يجب أن تلازمها "القابلة" وتتفقد أحوالها "وتجسّ موضع المشيمة فإن وجدتها قد استرقت ونزلت إلى الفرج وأحست منها برطوبة كثيرة فذلك لقرب الولادة وانشقاق المشيمة" (عريب، س. **1956**: **46**/ Gilladi, A. 2015 :57-59)، فعندما تصل المرأة إلى هذه المرحلة من المخاض تُجلس على مقعد الولادة (ينظر الملحق رقم**1**)، ويتولى مسكها من الخلف ثلاث نسوة أو مساعدات واحدة عن يمينها والأخرى عن شمالها تشجعانها على الولادة وتهوّنان عليها الأمر، أما الثالثة

تقف خلف ظهرها لتستند إليها الحامل إذا أرادت أن تستلقي، والقابلة تكون بين يديها لتقبل الولد (عريب، س. **1956**: **46**- **47**).

فصفة قبوله في أن تتولى القابلة العناية بالمرأة كأن تضع لها بعض المسهلات والمرطبات كالمراهم، أو بعض الأدوية المساعدة على العطس إذا أحست بعسر الولادة؛ فعسرها على ثلاثة أوجه الأول منها يخص الحامل فقد تعتريها بعض الاضطرابات النفسية أو ضيق في مجرى الدم وسمنة مفرطة تمنع خروج الجنين، وثانيها إما أن يكون الجنين ميتاً أو لم يخرج على صفته الطبيعية - نقصد بها خروج الرأس أولاً- وثالثهما الطقس فإذا كان بارداً يجب مراعاة ذلك بتدفئة الغرفة، أما في حالة ما إذا كان الجو حاراً يجب تهوية الغرفة برش الماء البارد فيها (عريب، س. **1956**: **47**-**48**/الأنطاكي، د. **2011**: **269**).

والولادة ليست بالأمر الهينّ على المرأة، فهي تتألم كثيراً عند المخاض وحدوث الطلق، ومنهنّ من كانت تعسر عليها الولادة ولا تلد إلاّ بمشقة كبيرة، لهذا كانت القوابل تستعملنّ بعض الأدوية المسهلة لهذه العملية والموصوفة من قبل الأطباء، وقد صنفناها في الجدول التالي كل حسب طبيعتها وطريقة استعمالها:

طبيعة الدواء	مكوناته	طريقة استعماله
الأشربة (المطبوخة)	ماء الحلبة+ التمر+ دهن اللوز	الشر بثلاث مرات
الأقراص	المر + غالية+ شراب	تؤخذ عن طريق الفم
التحميلات	أصول الزراوند	تحتمله المرأة في صوفة
المراهم والمرطبات	- زبل الخطاف+ زيت - ميعة سائلة - رماد حافر الحمار أو الفرس+ طلاء	تطلى به أحبال الرحم داخليا وخارجيا يطلى بها فخذ الحامل يوضع في فم الرحم
الضمادات	- أصول البرشيان دار+ أصول الكمون - أصل الشبرم - التين+ الكزبرة الرطبة+ الحنظل	تعلق على الفخذين // // // //
المعطسات	الكندس	تقرب من الأنف أو توضع بداخله

الأحجار الكريمة	حجر المغنطيس	تمسكه الحامل في يدها
المعادن	حمأة بئر عتيقة	توضع على سرة الحامل وعانتها

جدول يمثل الأدوية المسهلة للولادة حسب "عريب بن سعيد القرطبي"

نلاحظ من خلال الجدول السابق أنّ هناك أدوية متعددة ومختلفة استعملها الأطباء لتسهيل عملية الولادة، ونستشف من هذه الأدوية أنّها اعتمدت في تركيبها على أصول نباتية وحيوانية، وبعض المعادن والأحجار الكريمة، منها ما كانت تسقى منه المرأة الحامل، ومنها ما كانت تحتمله، ومنها ما كان يستعمل موضعياً كالمراهم أو مربوطاً على الفخذ أو موضوعاً على السرّة، ومنها ما كانت تمسك به المرأة في يدها. ويجد القارئ لهذه الأدوية أنّ تركيبة بعضها مرّ وهو مما لا تتقبله النفس البشرية لأنّها لاذعة بطبيعتها، وهذا ما من شأنه أن يساعد الحامل على دفع الجنين إلى الخارج. وينبغي أن يخرج من الوليد رأسه ثمّ سائر جسده وهي الصفة الطبيعية في الولادة، فلا تتأذى الأم ولا الجنين، أما إذا خرج رجلاه قبل رأسه فهي صفة غير طبيعية ومذمومة، قد تعرض الوليد لالتواءات الحبل السري إما على العنق أو على الكتف فيؤدي به ذلك إلى آلام وأمراض قد تودي بحياته (عريب، س. **1956**: **50**).

ويجب على القابلة أن تقطع مقدار أربعة أصابع ويكون القطع إما بآلة حادة كالزجاجة أو عود شبيه بالسكين(ينظر الملحق رقم **2**) أو حتى خرقة حادة أو قصبة مشقوقة النصفين، ويتوخى من ذلك الآلات المصنوعة من الحديد(عريب، س. **1956**: **51**). نستشف من هذا أنّ قطع سرة الصبي بآلة من حديد (كالسكين مثلاً) كان يعتبر في ذلك الزمن نذير شؤم، لكن نحسب ذلك راجع إلى أنّ الآلة الحادة يكون بها صدأ أو ما شابه فينتقل ذلك الصدأ بما فيه إلى أمعاء الصبي، فيسبب له الأمراض التي من شأنها أن تودي بحياته، وليس للطيرة مكان في هذا المجال؛ إلاّ إذا كان المخيال الشعبي يعتقد في أنّ صلابة الصبي وحِدَّةِ مزاجه وطبعه إذا كبر من صلابة الحديد الذي قطعت له به سرته.

9) العناية بالمولود:

أ- نظافته: بعد قطع السرة للوليد كانت القابلة تقوم بوضع الملح المخلوط ببعض الأعشاب المسحوقة كالسُمّاق والساذج والقسط والحلبة والشعير على جسده، وتستثني من ذلك أنفه وفمه،في حين فضّل البعض الآخر من الأطباء دهن البلوط على الملح لأنّه غير لاذع؛ وبعد مرور ساعة من تمليحه وانحطاط وسخه تقوم بتحميمه بماء ساخن أو ممزوج بطبيخ الآس أو عفص أو رماد، لأنّ الرماد يصفي الجلد ويجففه (عريب، س. **1956**: **51**/ المجوسي، م. **1877**: **72**/ ابن رشد، م. **2013**: **495**)؛ ولا تكرر عملية الغسيل إلا بعد أيام عديدة، وقد فصّل الكثير من الأطباء في صفتها (عريب، س، **1956**: **54**- **55**/ ابن الجزار، أ. **2009**: **62**- **63**).

وبعد الانتهاء من عملية الغسيل يأتي الدور على لباسه "التقميط"، فتقلبه القابلة قلباً خفيفاً ليّناً وتتوقى عليه البرد، وتعمد إلى أعضائه فتبسط ما يجب أن يكون عريضاً وتضم ما كان أصله رقيقاً، وتسوي رأسه وأنفه وجبهته ثمّ تلفّه في خرق من كتان وتقمطه بأن تلصق ذراعيه بركبتيه وتضم ما بين الركبة والركبة والكعب والكعب،ويُعمّم أو يُقلنس بقلنسوة مهندمة على رأسه، حتى ولو شقّ عليه ذلك إلى غاية أن يصلب بدنه وتقوى أعضاؤه ويستطيع الجلوس على الأرض(عريب، س. **1956**: **50**/ الدبيش، ع. **2011**: **20**/ابن قيم الجوزية، د،ت: **341**).

ب- نومه:يجب أن يكون فراش المهد مستوياً لا صلباً ولا ليّناً، ورأس الصبي أعلى من سائر جسده، وتكون غرفته دافئة قليلة الشعاع(عريب، س. **1956**: **50**).

ج- تغذيته:أولى الأطباء عناية خاصة بتغذية الرضيع حتى يسلم من الأسقام ويكون جسمه معافى من الأمراض التي تعرض للصبيان، فقبل أن يعطى للطفل حلمة ثدي المرضعة يجب أن يلعق عسلاً لأنّ ذلك من شأنه أن يفتح معدته وينقي مجاريها، ويتجنب إرضاعه أمه لمدة تفوق أربعة أيام (عريب، س. **1956**: **50**).

وتعتبر التغذية العنصر الأساسي لنمو الطفل واكتمال قوته العضلية والجسدية، لهذا شرط الأطباء عددا من الشروط التي يجب أن تتوفر في المرأة المرضعة من بينها: حداثة السن التي تتراوح ماسبين العشرين (**20**) سنة

والخمسة والثلاثين (35) سنة، وتتمتع بصحة جيّدة وخلق حسن - لأنّ ذلك ينعكس على الطفل- ولا تكون حاملاً أو قريبة عهد بالولادة لأنّ لبنها يكون عليلاً لا صحة فيه، وأن يكون حليبها معتدل القوام (عريب، س. **1956**: **55**/ابن رشد، م.**2013**: **495**).

وشرط الأطباء أيضاً التزام المرضعة بنظام غذائي معتدل فلا تأكل المالح ولا الحامض، وأن لا تكثر من التوابل، والأغذية الحريفة كالبصل والكراث مثلاً لأنّها تفسد المزاج وتوّلد التشنّجات وكثرة القروح للصبي. وتلازم المرضعة أكل الحنطة والأرز واللحوم (عريب، س. **1956**: **55**). وإذا قلّ لبنها أو كان خفيفاً أو ثخيناً عولجت بالأغذية الصحية والأشربة المدّرة للحليب والمعالِجة له كضروع الضأن والماعز، والأسماك الطرية والأرز واللحم، وشراب ممزوج بالأفاويه أو ممزوج الماء والعسل (عريب، س. **1956**: **56**)، وغيرها من الأغذية والأشربة النافعة التي حرص عليها الأطباء نظراً لحرصهم على صحة الرضيع.

بعد تخطي مرحلة الرضاع تأتي "مرحلة الفطام" والتي يجب أن تكون تدريجية حتى لا يتأذى الصبي من الفطام المفاجئ، وتكون بعد بلوغ الصبي عمر السنتين لقوله تعالى: "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الْرَضَاعَةَ"(سورة البقرة، الآية: **233**)، ويتجنب فطمه في فصل الصيف؛ والأفضل أن يكون الفطام بالتعفير أي إرضاع الطفل يوماً وتركه عدة أيام دون رضاع حتى يعتاد الترك، ومن بين الأطعمة التي أُوصي بها للطفل "البلاليط" المصنوعة من دقيق السميد ولبن وسكر يعتاد مصّها فتلهيه عن ثدي أمه أو مرضعته، ويطعم لحم فروج رخص أو حجلة حتى يتدرج في البلع (عريب، س. **1956**: **74**).

10) مراحل الطفولة: حافظ المسلمون في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي على تقسيم أبقراط لمراحل الطفولة فكانت على أربعة أقسام، كما ميّزوا بين تلك المراحل من خلال ملاحظاتهم على نبات الأسنان والتغيرات النفسية والجسمية للطفل التي تصحبها أمراض مختلفة وهي موزعة في الجدول التالي:

المرحلة	مدتها	التغيرات الطارئة	الأمراض المصاحبة
الأولى	سن الولدان (من	يكتنفه الهواء ويستنشقه	القلاع (الحر)، القيء،

	خروج الطفل إلى أربعين يوماً)	ويكون غذاؤه من الفم وتكثر مخارجه وآلامه	السعال، السهر، آلام السرة ورطوبة الأذنين
الثانية	سن الصبيان(ما بعد الأربعين يوماً إلى نبات الأسنان)	تكثر حركته ويقوى على رؤية الأشياء المضيئة وسماع الأصوات والضحك.	تبيض اللثة، الحمى، التشنج
الثالثة	من نبات الأسنان إلى ما قبل نبات الشعر (مرحلة التأديب)	قوة الحركة وخفتها وزيادة الفهم وكثرة التمييز	ورم الحلق، الربو، الحصا، دخول جوزة القفا، الدود، الثآليل...
الرابعة	سن الاحتلام (ما بعد الفطام الكلي إلى قرب البلوغ، وهي تمتد إلى غاية **12** سنة أو **14** سنة)	قوة الحركة والذهن وزيادة الحافظة	كثرة الحمى، الرعاف.

وقد أحصى عريب بن سعيد القرطبي عدة أدوية مصاحبة للأمراض العارضة للصبيان والمذكورة آنفاً في الجدول كل سن بما يوافقه من الأمراض في أبواب مقسمة حسب أعمار الطفل (عريب، س. **1956**: **60** وما بعدها/ الرازي، أ. **2001**: **26** وما بعدها)، وبعضها من المجربات الشائعة في عصره، أو ما جرّبه هو بنفسه. وغيرها من الأمراض الكثيرة التي تعرض لها في كتابه وهي مختلفة ومتعددةلا تسعها صفحات هذا العرض البسيط.

ولم يغفل عريب عن ذكر آراء المنجمين في هذا الباب الذين قسموا مراحل الطفولة على حسب سير الكواكب وكل سنة من عمر الطفل تقع تحت تدبير كوكب من الكواكب السيّارة (عريب، س.**1956**: **85**- **87**).

11) إعذار الذكور:

إلى جانب تناوله لعدة مسائل تخص الطفل منذ ولادته لم يهمل عريب بن سعيد القرطبي الحديث عن ختان الصبيان حيث وصف الطريقة على أصولها، كما رأى بأنّ أنسب وقت لذلك ما بين سن الثامنة والعاشرة، لقدرة الصبي على احتمال الألم، أما أنسب فترة فهي فصل الربيع لاعتدال الهواء فلا هو بارد ولا هو حار،وصفته أن يربط الخاتن خيطاً يحول بين موضع القطع ورأس الحشفة حتى لا يحدث فيها قطع إذا تحرك الطفل بشدة جراء الألم، ويكون القطع بالموسى ويبتعد الخاتن عن استعمال

المقص لأنّه قد يولّد آلاماً كثيرة ونزيفاً مصحوباً باعوجاج دائم (عريب، س. **1956**: **81**)، ولم يغفل الأطباء عن صرف أدوية للصبي حتى يبرأ من جرحه وتطيب نفسه بعد عملية الختان (عريب، س. **1956**: **82**- **83**).

12) مرحلة التأديب:

يوافق سن التأديب المرحلة الثالثة من عمر الصبي، وفيها يبدأ بالاحتكاك بالكُتّاب أو الحُضّارِ كما كان يسمى في الأندلس، ويكون ذلك في سن السابعة من عمره لأنها فترة تكون فيها ذاكرته خصبة وقادرة على الاستيعاب، وفي ذلك يقول ابن الحاج: "...ومن جملة ذلك أنّ السلف الماضين رضي اللّه عنهم أجمعين إنّما كانوا يقرئون أولادهم في سبع سنين، لأنّه زمن يؤمر فيه الوالي أن يكلف الصبي بالصلاة والآداب الشرعية فيه..." (ابن الحاج، م. د، ت: **315**- **316**)؛ أي أنّ أول شيء يجبرون على تعلمه هو شرائع الدين الإسلامي وأولها الصلاة، ثمّ يدفع الصبي "إلى معلم حاذق رفيق يداريه بالتخويف مرة وباللين أخرى لأنّ الصبي يربو جسمه وتحسن تربيته وخصبه مع السرور وينهك بدنه بالذبول مع الخوف وتعب النفس وربما تبلد عند ذكر التخويف والتحذير" (عريب، س. **1956**: **59**).

ومن هنا نستشف أنّ المربين قد لجأوا إلى مذهبين في التربية مذهب الترغيب ومذهب الترهيب، لكن هناك من الفقهاء من نهى عن ضربهم (ابن مريم، م. **2011**: **381**) وهناك من أجاز ضربهم الضرب غير المبرح مثل الونشريسي الذي قال: "...وصفة ضربه- المؤدب- ما لا يؤلم ولا يتعدى إلى التأثير المستشبع أو الموهن المضر" (الونشريسي، أ. **1981**، ج**8**: **250**)؛ أما ابن خلدون فقد جعل الضرب كمرحلة أخيرة بعد التنبيه والتفزيع حتى لا ينجر عن ذلك انعكاسات سلبية تضر بتحصيل الصبيان (ابن خلدون، ع. **2000**: **312**).

وفي المرحلة الرابعة من عمر الطفل والتي توافق بلوغه اثنتي عشرة سنة يُعلَّم "الحساب والمساحة وسائر ذلك من علوم الفلسفة والطب فإنّ ذهنه يقوى على ذلك في هذا السن ويلقن ما يعلم منه" (عريب، س. **1956**: **59**).

خاتمة:

وصفوة القول أنّ التراث العربي والإسلامي غني بمصادر لا تزال عذراء ولم تستغل على أكمل وجه ومنها المصادر الطبية، فمن خلال قراءتنا المتفحصة لكتاب "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" تبيّن لنا أهميته في رصد

بعض الجوانب الصحية للمرأة والطفل في الأندلس قد لا نجدها في مصادر أخرى، إذ فضّل عريب بن سعيد القرطبي في كل المراحل التي تمرّ بها المرأة الحامل، إلى جانب رصده لعدد كبير من الوصفات الطبية التي كانت متداولة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي؛ هذا دون أن ننسى كذلك عنايته بالطفل منذ المراحل الأولى لولادته وحتى بلوغه.

والكتاب يحمل في طياته العديد من المواضيع التي لازالت تحتاج إلى تنقيب وتفتيش من قبل الباحثين في التراث العربي والإسلامي، بصفة جدية ومستندة على حقائق علمية، بإمكانها سد ثغرات يرمم بها الباحثين في تاريخ الطب مستقبلا أبحاثهم، حتى لا يبقى هذا النوع من المصادر حكراً على أهل الاختصاص فقط.

الملاحق:

الملحق رقم1: مقعد الولادة

الصورة الأولى مأخوذة من موقع AcidCow.comأما الثانية من موقع تاريخ صفاقس (الولادة قديماً)

الملحق رقم 2:

صورة مبضع لقطع سرة الجنين -مأخوذة من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف- ص136

المراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الجزار، أحمد بن أحمد.(**2009**). سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط2. تونس: بيت الحكمة.
- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد العبدري. (د،ت). المدخل، (د،ط). القاهرة: مكتبة دار التراث.

- ابن حجر العسقلاني، (د،ت). فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (د،ط). الرياض: المكتبة السلفية.
- ابن خلدون، عبد الرحمن.(**2000**). المقدمة، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، (د،ط). بيروت: دار الفكر.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد. (**2013**). الكليات في الطب، تحقيق وتعليق عمار الطالبي وسعيد شيبان، مراجعة أبو شادي الروبي، ط2. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى.(**1995**). المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط4. القاهرة: دار المعارف.
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي.(**1999**). القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الضناوي، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر.(د،ت). تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عثمان بن جمعة ضميرية، (د،ط). دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي.(**1999**). تفسير القرآن العظيم، ط2. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ج5.
- ابن ماسويه، يحي.(**2001**). مقالة في الجنين وكونه في الرحم، تحقيق محمود الحاج قاسم محمد، ط1. بغداد: بيت الحكمة.
- ابن مريم، محمد المديوني.(**2011**). البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، ط1. الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.
- الأنطاكي، داوود بن عمر.(**2007**). نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان، تحقيق محمد زكور، (د،ط). دمشق: وزارة الثقافة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي.(د،ت). الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البُغا. (د،ط). دمشق: دار ابن كثير. دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع. ج**6**
- الحاوي في الطب، (**2000**)، تحقيق محمد إسماعيل، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الخطابي، محمد العربي.(**1984**)."الطبيب ابن خلصون ومذهبه في تدبير الصحة وحفظها". مجلة الأكاديمية، أكاديمية المملكة المغربية، العدد**2**، ص ص **131**-**151**.
- الدبيش، عبد الوهاب. (**2011**). "ابن الخطيب ومذهبه في حفظ صحة الطفل والشيخ"، منشور ضمن كتاب المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، إشراف آسية بنعدادة. (د،ط). الرباط: منشورات عكاظ.
- الرازي، أبو بكر بن زكريا.(**2001**). رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم والمسماة (تدبير الصبيان)، تحقيق محمود الحاج قاسم محمد، ط1. بغداد: بيت الحكمة.
- الزركلي، خير الدين. (**2002**). الأعلام، ط15، بيروت: دار العلم للملايين.

- الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس.(**1908**). التصريف لمن عجز عن التأليف، (د،ط). لكنو.
- السقطي، أبو عبد الله محمد المالقي.(د،ت). في آداب الحسبة، تحقيق س. كولان وليفي بروفنسال، (د،ط). باريس: مكتبة آرنست لوغو.
- المجوسي، علي بن العباس.(**1877**). الكامل في الصناعة الطبية، (د،ط).(د،د).
- المراكشي، عبد الملك.(**2012**). الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق وتعليق إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، ط**1**. تونس: دار الغرب الإسلامي. مج**3**.
- الونشريسي، أحمد بن يحي. (**1981**). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، (د،ط). المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- بالنثيا، آنخل سجانثالث. (**1955**). تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، (د،ط)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- بغية المحتاج في المجرب من العلاج، (**2011**)، ط**1**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- عريب، أبو الحسن بن سعيد.(**1956**). خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين، تصحيح وترجمة وتعليق نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه،(د،ط). الجزائر: مكتبة فراريس.
- كعدان،عبد الناصر ومحمد نور السيد علي. (د،ت). مراحل تخلق الجنين ونظريات الحمل في الحضارة العربية الإسلامية. (د،ط)، حلب: معهد التراث العلمي العربي.
- كيث، مور وعبد المجيد الزنداني ومصطفى أحمد عبد الباسط. (**2013**). "وصف التخلق البشري طورا: العلقة والمضغة" من كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، إشراف عبد الله بن عبد العزيز المصلح. ط**1**، الجزائر: مؤسسة العالمية للثقافة والعلوم.
- Arib, ibn Said.)**1961**(. Le calendrier de Cordoue. Publier par(R) Dozy, Leiden.
- Gilladi, Avner. (2015). Muslim midwives the craft of birthing in the premodern Middle East. Firstpublished. New York: United states of America.
- Castillo, Juan brazales. Historiographia hispano-arabe sobre el periodo-Omeya en al-Andalus: la Cronica de Arib. (S.f),Tesis Doctoral in Historia, Universidad de Granada, España.